اللغة العربية انتشرت بفضل المد الحضاري للإسلام وفكره الثوري الجديد

بقلم الأستاذ عبد العزيز حسين

وزير الدولة السابق لشؤون مجلس الوزراء (الكويت)

عندما قامت الدعوة الاسلامية كانت في الجزيرة العربية لهجات عديدة ، فكان ان وحد الاسلام تلك اللهجات واصبحت لغة قريش هي لغة القرآن الكريم التي غدت منذ ذلك الحين تدعى اللغة العربية الفصحى.

لقد اختار الله العرب حملة لرسالة الاسلام فكان من منطق الامور ان تتوحد كلمة العرب لكي يكونوا اهلا لحمل هذه الرسالة وان تكون **اللغة الموحدة من اهم روابط هذه الوحدة .**

والدين الاسلامي رسالة حياة للبشر جميعهم ، فهو دين عالمي يهدف الى هداية الانسان في كل مكان والى نشر الحق والعدل في جميع اركان المعمورة ، وقد ضمن الاسلام القرآن الكريم سبل هدايته واودع فيه تشريعه ومواعظه ، فكان **القرآن مركز الاشعاع** للمسلمين ، وهو قد **نزل بلسان عربي مبين .**

ولكي يستطيع المسلم ان يعي امور دينه فان عليه ان يتفهم القرآن وآياته، كما انه لكي يؤدي بعض اركان دينه فان عليه ان يحفظ اجزاء منه باللغة التي انزل بها ، **فالدين** الحنيف الذي ترك في المسلمين كتابا لن يضلوا اذا اتبعوه **ربط المسلم بمعرفة مقدار من اللغة العربية** لكي يكون مسلما حقا . ان عالمية الاسلام ، دين التوحيد ، تتضح هنا في جمع المسلمين على لسان واحد ، فالقرآن كتاب التشريع والعظات ، قد انزل بلغة عربية تدخل في عبادات المسلمين فلا يتصور ان يوجد مسلم لا يحفظ الفاتحة وآيات اخرى من القرآن ، واذا كان مسلما حقا فان عليه ان يفهم ما يحفظ ، اذ ان التعبد بالقرآن لا يعني ترديد الآيات دون فهم لمعانيها ودون ادراك لمغازيها السامية . اذا فان كل مسلم يعرف قدرا من العربية، ولكي يكون اقدر على تفهم دينه والتمسك به فان عليه ان يعرف المزيد من لغة كتابه المقدس .

واننا نعلم ما دار من نقاش طويل حول ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاخرى ، وما وصل اليه الفقهاء والباحثون من ان القرآن اذا نقل الى لغات اخرى فانه يغدو في اللغة الاخرى ترجمة لمعاني القرآن لا قرآنا، واذا لزم ان تؤدى الصلاة بآيات من القرآن عربية .

وقد **انتشرت الدعوة الاسلامية** بسرعة لم تنتشر بها دعوة اخرى ، **وصاحب انتشارها انتشار اللغة** العربية بين الامم التي دخلت الاسلام وبنفس السرعة المذهلة . ولا يمكن ان يعود ذلك فحسب الى نزوح

الكثيرين من العرب الى البلاد التى دخلها الاسلام ، او الى ان اللغة العربية هى لغة الحاكمين فى النظام الجديد، بل الى ان **الدين الاسلامى مرتبط كدين باللغة العربية لغة كتابه المقدس** . وان الذين اعتنقوا الاسلام ادركوا انهم سيكونون اقدر على فهم دينهم الجديد اذا هم تعلموا العربية واتقنوها . فانتشار اللغة العربية فى البلاد الاسلامية سببه الاسلام دينا والعرب حملة رسالة .

واذا كانت اللغة العربية قد لقيت مقاومة من بعض الامم التى دخلها الاسلام بسبب التعصب القومى من تلك الامم للغتها الاصلية ، فان هذه الامم التى لم تدرك تمام الادراك معنى عالمية الاسلام قد استعملت منذ ذلك الحين مفردات لا حصر لها فى لغاتها كما استعملت الخط العربى فى كتاباتها ؛ واختار الكثيرون من مفكريها وعلمائها **اللغة العربية لغة بحث وعلم وتاليف** ، وغدا من سمات العالم فيها ان يكون ضليعا باللغة العربية او عارفا بها .

اننا لا يمكن ان نتصور ان تكون اللغة العربية لغة العالم العربى كما نراه اليوم لو لم تكن الرسالة الاسلامية . كما اننا **لا نتصور ان تنتشر لغة ما دون مضمون حضارى** ، وقد حملت اللغة العربية حضارة الاسلام الى العالم فاعتنقت الكثير من الشعوب دين الاسلام وتبنت لغة القرآن. **وخلد الاسلام اللغة العربية** لان رسول الاسلام عربى ، وكتابه المقدس عربى ، يضاف الى ذلك ان اللغة العربية كانت من النضج والسعة والقدرة على التعبير بحيث صلحت لكي تحتوي الافكار الجديدة والثورة الجديدة والحضارة الجديدة ، ولو لم تكن كذلك لقصرت ان تواكب انتشار الاسلام او ان يتقبلها الناس لغة دين جديد ومجتمع جديد وحضارة جديدة . ولا ادل على ارتباط اللغة العربية بالدين الاسلامى من الاهتمام الذى لقيته قرونا طوالا من العلماء والباحثين بحيث نشات **علوم عربية ارتبطت بالعلوم الاسلامية** ، واصبح من مستلزمات عالم الدين ان يكون عالما بالعربية .

ولا نستطيع ان نتخيل بطبيعة الحال ماذا ستكون عليه حال اللغة العربية لو اختار الله لقرآنه لغة غير الضاد ، او بعبارة اخرى لو اختار الله رسوله من غير العرب . . . ولكننا نستطيع القول ان **اللغات لا تنتشر الا بدافع حضارى** ، وانها لا تنتشر الا اذا كانت صالحة لاحتواء الافكار الجديدة قادرة على التعبير عن حاجات الانسان المتطور وملتقية مع اسباب النمو والتقدم .

والاسلام قبل كل شىء عقيدة وايمان واسلوب حياة ، وليس الغرض من الاسلام نشر اللغة العربية ، ولكن اللغة العربية انتشرت لان الناس آمنوا بالدين الجديد الذى حمله اليهم العرب ، وتعلموا العربية لكي يزيد ادراكهم وفهمهم للدين الذى اختاروه .